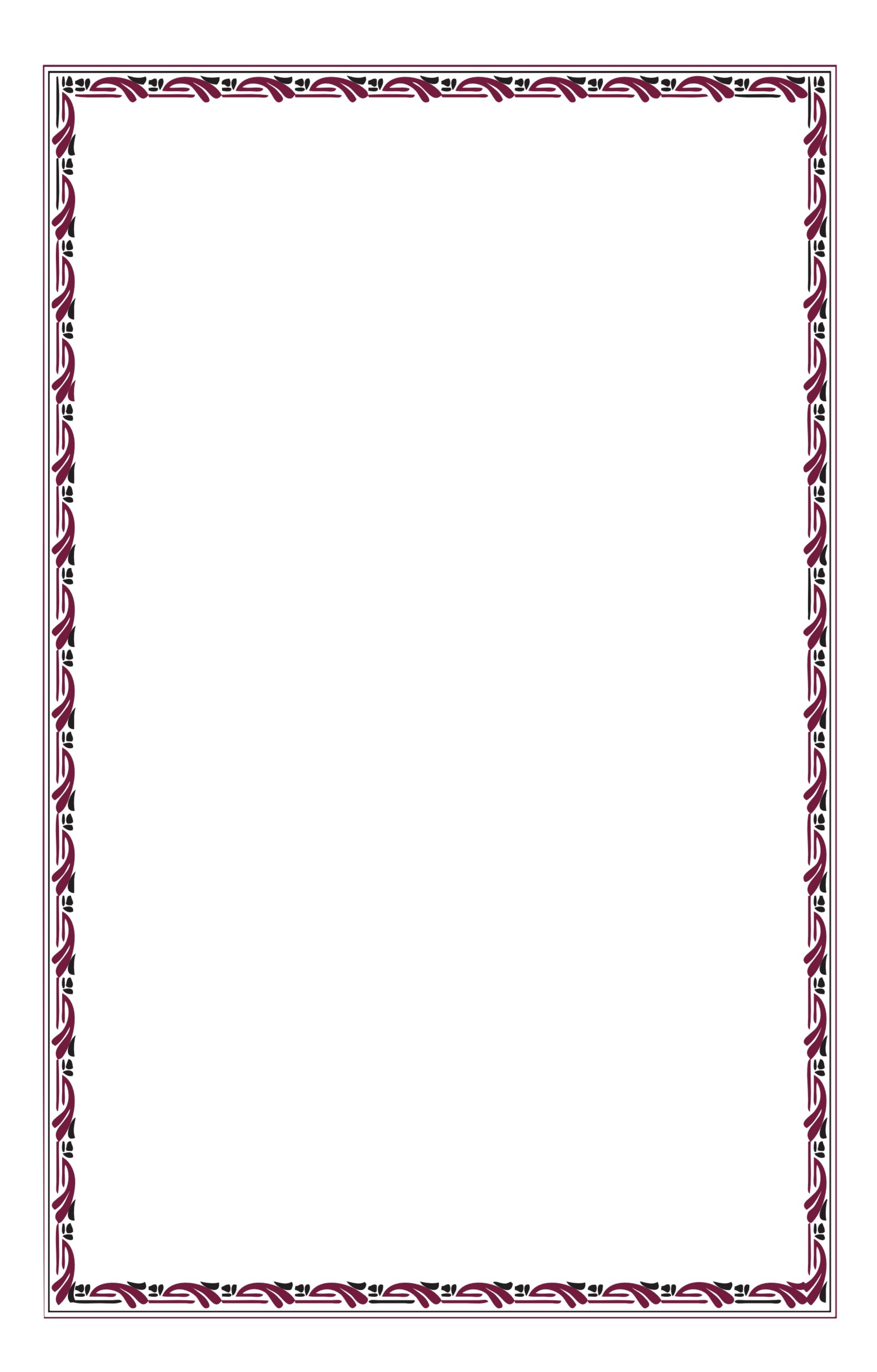


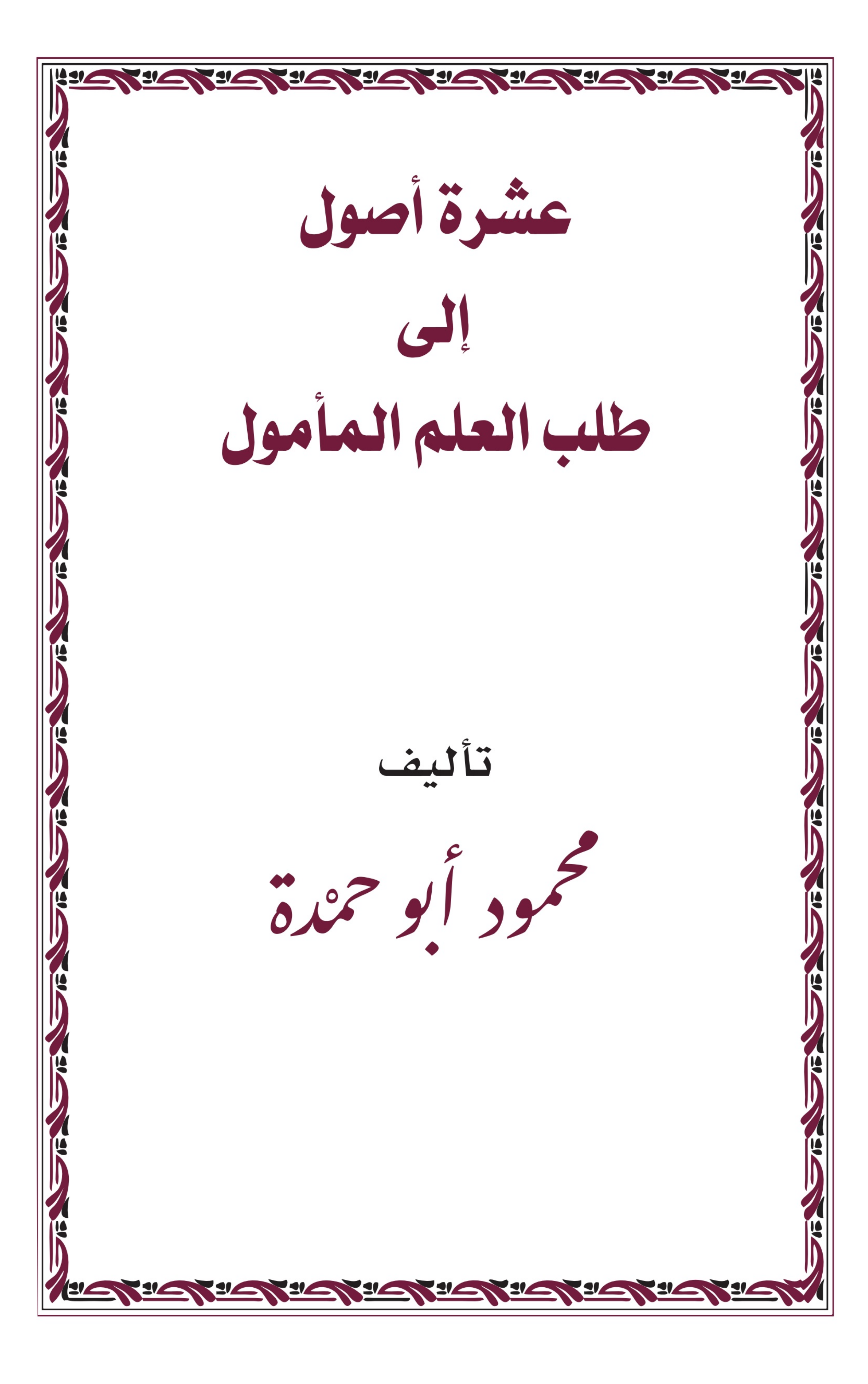
عشرة أصول إلى طالب العلم المأمول
محمود أبو حمْدة
دار الصالحية

عشرة أصول

إلى

طلب العلم المأمول





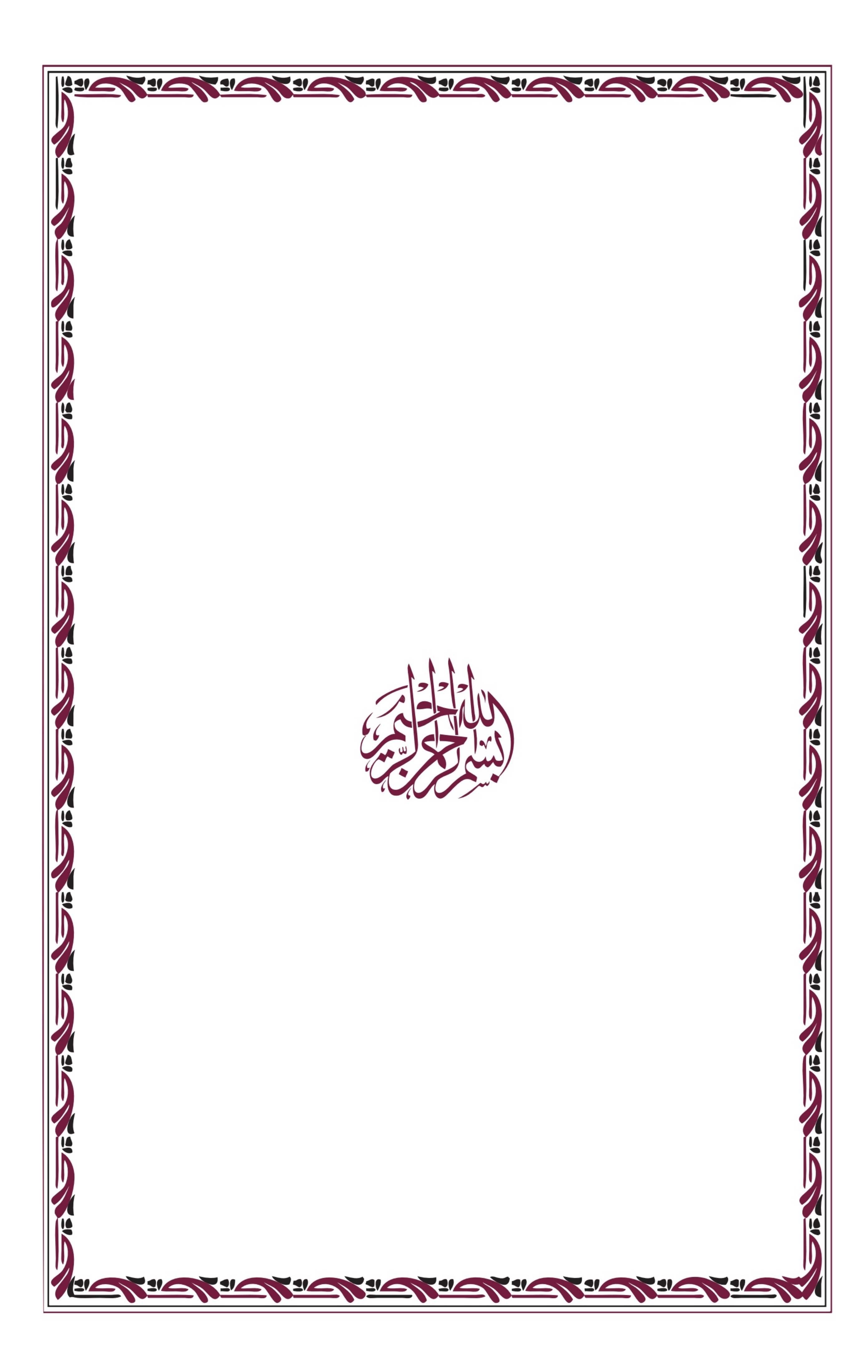
عشرة أصول

إلى

طلب العلم المأمول

تأليف

محمود أبو حمدة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصل الأول: (إشكالية النية)

إن المقصد الأعظم من مقاصد طلب العلم هو عبادة الله تعالى بتحصيل الخوف والرجاء وصدق اللجوء والمحبة.

ورغم ذلك يُطلب من المتعلم أن

يشرع في العلم مصطحبًا مجمل تلك المفاهيم السابقة وهو ما أُطلق عليه اشتراط النية.

وجواب ما أُشكل بأن تفهم قول القائل: «طلبنا العلم لغير الله فأبى الله إلا أن يكون إلا له» وفي هذا بيان بأن ضعف النية في مهد الطلب معفو عنه إلى أن يتحصل الطالب على ما يقوى به على تصور النية، وعبادة ما دون البلوغ لا ترفع واجبًا

على الراجح لما سبق، فانتبه.



الأصل الثاني: (المنهجيات)

المنهجية العلمية هي طريق العلم وفجاجه التي يُسلك ولا يُترك، وبدونها يظل المتعلم تائهًا وإن بلغ مبلغ الكبار في الشهرة.

والمنهجية - باعتبار الفنون - نوعان:

(أ) منهجية المبتدأ: وتنقسم إلى:

١) **أدوات:** أصـول الـفـنـون:

كالنحو، وأصول الفقه، وأصول الحديث، ونحوهم.

٢) **متممات:** حفظ قراءة من القرآن، وقدر من السنة أقلّه أحاديث الأحكام.

٣) **مكملات:** التاريخ، والأدب، والآداب، ونحوهم.

(ب) منهجية المتخصص:

١) **أصول:** وهي إلمام العارف

بالفن المتخصَّصِ فيه.

٢) **متممات:** وهي أصول العلوم الأخرى، وما يستقيم به فهمه للشريعة.

واعلم أن من سلك العلم بغير منهجية قد يصل للمراد، لكنه كمن سلك الطريق المخوفة لمكة وترك الآمنة، فلا يحل له النصح بها، ولا الدعوة إليها مخافة ألا يصل غيره كما وصل هو.

الأصل الثالث: (المعلم الحادي)

حاجة الطالب للمعلم فرع عن حاجة الناس للرسل والأنبياء، فإن أمكن - عقلًا وشرعًا - أن يُهدى آحاد الناس بغير الرسل والأنبياء، أمكن أن يهدى الطالب طريق العلم والبلغاء بغير معلم.

والقول بحاجة الطالب للمعلم لا

يُعنى بها نفس المعلم، بل قد يقوم المقام صوته ونحوه، وإن كان الأول أكمل لمقام التأدب والتخلق.



الأصل الرابع:
(الصاحب والقرين)

هو مِعوَلٌ معين، وساعد مساعد أمين؛ ولقد دفُع المرء دفعًا - عقليًّا وشرعيًّا - لاتخاذ الصاحب والقرين.

فأحكامٌ من الشريعة ليست بالقليلة بُنيت على ذلك؛ فمن ظنّ

أن النجاة لطالب مبتدأ قد تحصُل بلا معين فقد أهلك المنفرد بانفراده.

بل والعزلة في حقه حرام لا كعزلة العالم، فتلك حال تُبلغ بعد المشقةْ، وبشروط عِدةْ؛ ولا يبلغها كل سالك.



الأصل الخامس: (مركز الطاقة)

هو الهمَّة، ومن فقدها فقد أهمَّه؛

فأي نفع بكل ما سبق بلا محفز دافع

هو مركز الموجب والسالب المحركُ

للجسم العليل والقلب السليم.

فالجسم مادةٌ، وروحه طاقةٌ

مركزها في القلب ووقودها الهمّة،

وهي الحرارة الباعثة على النشاط

وعدم الكلل، وهذا ينطبق على الباعث للخير والشر على السواء.

فمن أحسن اختيار وقوده الباعث فقد أحسن النتيجة، والعكس بالعكس، فبها القدرة على القيام بعد سقوطٍ وإن تكرر.



الأصل السادس: (ثمرتا العلم)

الأولى:

وَجْدُ الحب والارتقاءُ للرب بقلب العبد العابد العامل؛ ودرجاتها تتفاوت بتفاوت العمل بالمعلوم.

الثانية:

نشر العلم بسبله؛ كتلقينه، والدفاع عنه، وحث الناس عليه،

وغيرهم.

واختلافها كذلك يختلف باختلاف المكلفين ودرجاتهم العلمية ومنازلهم في قدراتهم التحصيلية.

ولذلك فإن مدار الخطأ فيها بانتقال المكلف بين درجة وأخرى بغير حق، فقليل العلم يوجب على نفسه ما أُوجب على الكبار، وكبير

المقام متقاعص ومتقاعس بعذر الصغار.



الأصل السابع:
(بلاءك على قدر عملك لا علمك)

بين العمل بالعلم والبلاء تلازمٌ يجهله كثير من سالكي الطريق.

ولا ينحصر البلاء في نوع واحد، إذ باختلاف حال العالم العامل يكون البلاء، فيتنوع بتنوعه، ويختلف باختلافه.

وكم ممن أُوتوا علمًا ظاهرًا قليلًا ابتلاهم الله فرفع درجاتهم، وما هذا إلا لكون عملهم بقدر علمهم.

وآخرون تكاثرت علومهم في الظاهر لا يقوون على بلاء من دونهم، وما هذا إلا لضعف عملهم بما عرفوا.

وما اجتمع لأحد النوعان (قوة العلم وقوة البلاء) إلا لرسل الله ثم الأمثل فالأمثل.

الأصل الثامن:
(لن تبلغ شأوهم)

فمن سلك سبيل العلم وحصّل مما مضى أصولًا فإنه سيرى في السابقين زللًا وفي العارفين خللًا.

وهو بلاءٌ باطنُه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.

أما عذابه: ففي ضعف النفس عن

الاستغفار للكبار وعلماء الأمة، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إذ لولا هم - بعد الله - ما وصَلَنا العلم ولا عرفنا حرفًا منه، فهم من تمام حفظ الذكر الذي تكفل به الرحمن.

وأما رحمته: فتلك التي يُدرَك بها أن العلم لا ينتهي وأن العصمة للفرد ماتت مع صاحبها ﷺ، وأما العصمة الباقية فهي عصمة المجموع لا

عصمة الجميع.

فتحرِّكُ فيك ركود ماء التحصيل، وتَبثُّ فيك نشاط التعلم والإخراج، إذ العلم لا ينتهي والاجتهاد لا ينقطع إلى قيام الساعة، ولو لم يخطئ السابقون ما تحرك اللاحقون، وصدق من قال: كم ترك الأول للآخر.



الأصل التاسع: (كنتَ مثلهم)

ببلوغك سبيل العلماء سواء كنتَ في أوله أو بلغتَ منزلًا عظيمًا فإنك قد ترى غيرك ممن لم يبلغ مبلغك على الجهالة والضعف.

والحال معهم أحد أمرين:

١) **متعالٍ متجافٍ مستكبرٌ**، وتلك حال الشيطان وأهله، وحال من لم

يرعوِ عن جهالات نفسه، وتركَ حظه يغلب علمه، واستحكم البغي عليه.

٢) **والآخر:** من استوعب في نفسه قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤].

فلا تكن للشيطان عليه عونًا، واعلم أنك سبيله للنجاة رحمة من الله وفضلًا، ولئن يهدي الله بك

رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعم.



الأصل العاشر: (أنت والعلم)

وبقدر ما حصّلتَ مما ذكرتُ فإنك تشعر بوحشةٍ مع قرب الناس منك ولك، فالعزلة أصبحت محببة، والبعد متنفسٌ لقلبك، كأن صوت الآخرين لك أذى.

فإذا بلغتَ تلك الحال فاعتزل بقدر ما يحيك ويغنيك، واختلط

بقدر ما يصلح قلبك ويكفيك.

فحال الذين اختلط العلم بلحمهم ودمائهم هي حال كبار السالكين لطريق الله بالعلم أو العبادة أو بهما.

فخلطة العالم لغيره خلطة نفع لا انتفاع، وخلطة زهد لا استمتاع، فالمعتزل يسلك دربه فيشغله شاغل ويسأله السائل فيعطي الجميع بقدر عِوزهم، ويعود لمحرابه وملجأه.

والله أعلم وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه وأتباعه.

محمود أبو حمدة

ظهر يوم ٢٦ صفر ١٤٤٥

١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٢٣

فهرس الموضوعات

